

المطلب الرابع

شبهات حول عدالة الصحابة والرد عليها

إن لأهل الزيغ والإلحاد قديماً وحديثاً شبهات كثيرة يطعنون بها فى عدالة الصحابة، وأساس تلك الشبهات الرافضة الذين فاقوا اليهود والنصارى فى خصلتين كما قال الشعبى -رحمه الله- فيما رواه عنه ابن الجوزى فى الموضوعات قال : "... فضلت الرافضة على اليهود والنصارى بخصلتين 0 سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب موسى- عليه السلام- وسئلت النصارى فقالوا أصحاب عيسى- عليه السلام-، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا حوارى محمد، وأمروا بالاستغفار لهم فسبوهم" (1) 0

فمن مطاعنهم فى عدالة الصحابة : ما استدلوا به من :

1- قوله تعالى : وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ وقالوا نزلت فى أكثر الصحابة الذين انفضوا عن رسول الله ﷺ إلى العير التى جاءت من الشام، وتركوه وحده فى خطبة الجمعة، وتوجهوا إلى الله، واشتغلوا بالتجارة، وذلك دليل على عدم الديانة (3) 0

2- واستدلوا أيضاً بما ورد فى القرآن الكريم من آيات تتحدث عن النفاق والمنافقين، وحملوها على أتقى خلق الله، وأطهرهم (رضوان الله عليهم

() الموضوعات 1/339 0

() الآية 11 من سورة الجمعة 0

() مختصر التحفة الإثنى عشرية ص 271 - 272، وانظر الصافى فى تفسير القرآن للكاشانى 2/701، وتفسير القمى لعلى بن إبراهيم القمى 2/367، ومجمع البيان للطبرسى 5/287، 288، وتفسير فرات الكوفى لفرات بن إبراهيم ص 185، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين 1/114، وأضواء على السنة لمحمود أبو رية ص 359، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 223، والإفصاح فى إمامة على بن أبى طالب لمحمد بن النعمان العكبرى ص 37 0

أجمعين) كقوله تعالى :
0⁽¹⁾

وأيدوا ذلك بما جاء فى السنة المطهرة من أحاديث يطلق فيها لفظ
الصحابة على المنافقين 0

مثل حديث جابر بن عبد الله قال : " أتى رَجُلٌ رسول الله
بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ 0 وفى ثوب بلال فِصَّةٌ ورسول الله يقبض
منها 0 يعطى الناس 0 فقال: يا محمد! اَعْدِلْ 0 قال " ويلك ومن يَعْدِلُ إذا
لم أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لقد خَبِثَ وَخَسِرْتُ إن لم أكن أَعْدِلُ" فقال عمر بن
الخطاب دعنى يا رسول الله فأقتل هذا المنافق 0 فقال : مَعَاذَ اللَّهِ!
أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنى أَقْتُلُ أَصْحَابى 0 إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ
الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَتَّى جَرَّهْمُ 0 يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ
الرَّمِيَةِ" (1) 0

3- واستدلوا أيضاً بقوله تعالى
وقوله تعالى
(2)

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الزكاة باب ذكر
الخوارج وصفاتهم 4/170، 171 رقم 1063، وانظر: الفصول
المهمة فى تأليف الأمة لعبد الحسين الموسوى ص 203،
والصحابة فى نظر الشيعة الإمامية لأسد حيدر ص 31 - 32،
ومقدمة مرآة العقول فى شرح أخبار آل الرسول لمرتضى
العسكرى 1/8، ومعالم المدرستين له أيضاً المجلد 1/130،
وأضواء على السنة محمود أبو رية ص 354، 356، والحسبة ص
60 وما بعدها، ولماذا القرآن ص 82 - 84 كلاهما لأحمد صبحي
منصور، وانظر: له أيضاً مقاله (الصحابة بين القداسة والتكفير)
مجلة روزاليوسف العدد 3564 ص 22-24، والنص والاجتهاد
لعبد الحسين شرف الدين ص 335، 336، وركبت السيفينة
لمروان خليفات ص 219 - 223، ومساحة للحوار لأحمد
حسين يعقوب ص 131، 169، 171، ونظرية عدالة الصحابة له
أيضاً ص 39، وأهل السنة شعب الله المختار لصالح الوردانى
ص 37، 102، ومع الدكتور موسى الموسوى فى كتابه الشيعة
والتصحيح للدكتور علاء الدين القزوينى ص 151، 153،
والإفصاح فى إمامة على للشيخ محمد العكبى ص 37، 39،
والخلافة المغتصبة لإدريس الحسينى ص 45، 91، والشيعة هم
أهل السنة للدكتور محمد التيجانى ص 285 0
() الآية 155 من سورة آل عمران 0

من الزحف من أكبر الكبائر⁽²⁾ وقالوا⁽³⁾ الفرار

4- واستدلوا من السنة المطهرة : بقوله : " ... ألا وإنه سَيَجَاءُ
برجالٍ من أمتي فيؤخذُ بهم ذات الشمال، فأقول : يا ربُّ
أصيحابي، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما
قال العبد الصالح :
يَزَالُوا مُزْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَأَرَقَّتْهُمْ"⁽⁴⁾

() الآية 25 من سورة التوبة 0
() مختصر التحفة الإثنى عشرية ص 273، وانظر : تفسير
الصافي للكاشاني 1/691، وتفسير القمي لعلی إبراهيم
القمي 1/287، والميزان في تفسير القرآن محمد حسين
الطباطبائي 9/226، وركبت السفينة لمروان خليفات ص
230، والإفصاح في إمامة علي بن أبطالب لمحمد بن النعمان
العكبري ص 36، 41، ولقد شيعنى الحسين لإدریس الحسينى
ص 350 0
() جزء من الآية 117 من سورة المائدة 0
() أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب
قوله تعالى : **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ** " 8/135
رقم 4625، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها
وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة 9/210 رقم
2860 من حديث ابن عباس، واللفظ للبخاري وانظر : مختصر
التحفة الإثنى عشرية ص 272، وشبهات حول الشيعة لعباس
الموسوي ص 115، 116، ثم اهتديت لمحمد التيجاني ص 119،
120، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين 1/117، ومعالن
المدرستين : لمرتضى العسكري المجلد 1/132، والنص
والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص 337، وركبت السفينة
224 - 228، ونظرية عدالة الصحابة ص 53-54، والخدعة
رحلتى من السنة إلى الشيعة 98، ومع الدكتور موسى
الموسوي للدكتور علاء الدين القزويني ص 152، 153 - 159،
والإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ص 30، 31، والخلافة
المغتصبة ص 193، ولقد شيعنى الحسين ص 349، وأضواء
على السنة ص 354-356، وأهل السنة شعب الله المختار ص
0 37

5- واستدلوا بقوله ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (1) وقالوا: تقاتل الصحابة فى صفين والجمل (2) 0

واستدل آخرون بالطعن فى عدالة الصحابة بما تمليه عليهم عقولهم الضالة من فهم أعوج لسيرة الصحابة، وتاريخهم المجيد، كما فعل مفتى الماركسية خليل عبد الكريم (3) فى كتابه "مجتمع يثرب العلاقة بين الرجل والمرأة فى العهدين المحمدى والخليفى" فقد صور مجتمع المدينة المنورة بقيادة رسول الله ﷺ، وخلفائه الراشدين، وصحابته الأطهار، تصويراً شائناً قبيحاً، وجعله أشبه بمجتمع الحيوانات التى لا هم لها إلا إشباع الغرائز الجنسية بأى شكل، وبغير ضابط من دين أو خلق، غير مكثرين بالنصوص الدينية التى تمنعهم من هذا الهبوط" (4) 0
كما أصدر كتاباً آخر بعنوان "شدو الرباية بأحوال مجتمع الصحابة" وهو من ثلاثة أسفار، الأول بعنوان "محمد والصحابة" والثانى "الصحابة والصحابة" والثالث "الصحابة والمجتمع" تناول فيها المؤلف تاريخ الصحابة، وسيرتهم بأسلوب فج

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض 13/29 رقم 7080، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض 1/332 رقم 65 من حديث جرير بن عبد الله 0

2 () أضواء على السنة ص 354، وانظر: نظرية عدالة الصحابة لأحمد حسين يعقوب ص 53، والخلافة المغتصبة لإدريس الحسينى ص 93، والفتنة الكبرى (عثمان) لطف حسين ص 170-173، دين السلطان لنيازى عز الدين ص 34، 103، 110، 124، 795، والسلطة فى الإسلام لعبدالجواد ياسين ص 241، 260، 267، والصلاة لمحمد نجيب 32 - 37، وحوار ومناقشة كتاب عائشة لهشام ال قطيط ص 312 وغيرهم 0

3 () خليل عبد الكريم : كاتب مصرى معاصر، حاصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة حالياً 0 أطلق عليه مفتى الماركسية "أونة"، والشيعى الملتحى "أونة أخرى" 0 انظر: السنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص 163 0

4 () انظر: مجلة الأزهر مقال لا تسبوا أصحابى " لفضيلة الشيخ عبد المقصود عسكر عدد ربيع الأول 1418 هـ - يولييه 1997 ص 384 0

قبيح ينبئ عن سوء فهمه، وجهله، وحقده الدفين، ضد صحابة رسول الله ﷺ، وكذلك فعل سعيد العشماوى⁽¹⁾ وغيرهم⁽²⁾

الجواب عن الشبهات السابقة

حول عدالة الصحابة ﷺ

إن ما استدل به الرافضة ومن تابعهم طعناً فى عدالة الصحابة لا حجة لهم فيه لما يلى:

أولاً: قصة انفضاض أكثر الصحابة عن رسول الله ﷺ إلى العير القادمة من الشام، وتركهم خطبة الجمعة، إنما وقع ذلك فى بدء زمن الهجرة، ولم يكونوا إذ ذاك واقفين على الآداب الشرعية كما ينبغى، كما أن كبار الصحابة كأبى بكر وعمر كانوا قائمين عنده، كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة 0

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: بينما النبى ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت عير المدينة، فابتدرها⁽³⁾ أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق منهم إلا اثنى عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر ونزلت الآية: **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً ۖ فَهُمْ لَهَا لَهْفًا وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَفِي سَفَرٍ مِّنْ حَيْثُ مَنَعُوا رُسُلَ اللَّهِ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۚ وَإِن يَظُنُّوكُمُ الْكَاذِبِينَ سَأَلْتُمُوهُم لَآءَاثِمًا كَثِيرًا مَّا كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ لَتَّائِبِينَ ۚ وَإِن يَظُنُّوكُمُ الْكَاذِبِينَ سَأَلْتُمُوهُم لَآءَاثِمًا كَثِيرًا مَّا كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ لَتَّائِبِينَ ۚ وَإِن يَظُنُّوكُمُ الْكَاذِبِينَ سَأَلْتُمُوهُم لَآءَاثِمًا كَثِيرًا مَّا كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ لَتَّائِبِينَ ۚ** **قَائِمًا**⁽⁴⁾،

ولذا لم يشفع عليهم، ولم يوعدهم سبحانه وتعالى بعذاب ولم يعاتب الرسول ﷺ أيضاً⁽⁵⁾ 0

1 () انظر: له الخلافة الإسلامية، وأصول الشريعة، وحصاد العقل وغير ذلك 0

2 () سبق ذكر من طعن فى الصحابة باتهامهم بالكذب 0 وانظر: فيمن طعن فى عدالة الصحابة بحجة أنهم بشر لا عصمة لهم 0 نقد الحديث فى علم الرواية والدرابة لحسين الحاج 1/350، 351، وإنذار من السماء ص 39، 154، 127، 69، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 396-426، والدولة والمجتمع محمد شحرور 160 وما بعدها، والإمام الشافعى لنصر أبو زيد ص 55، 56، 76، والأصلان العظيمان ص 284 - 288 والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص 24 = 28، 30، 65، 85، 261 0

3 () ابتدرها: أى أسرعوا إليها 0 لسان العرب 4/48 0
4 () الآية 11 من سورة الجمعة، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب تفسير "وإذا رأوا تجارة أو لهواً" 8/511 رقم 4899، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجمعة، =

= باب فى قوله تعالى: **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ۖ انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكُمْ قَائِمًا** 15/43 رقم 863 واللفظ له 0
5 () مختصر التلجفة الإثنى عشرية ص 272 بتصرف، وانظر: روح المعانى للالوسى 107/28 0

ورد آخر على هذه القصة وهو : أنه ورد في بعض الأخبار أنها وقعت لما كان النبي ﷺ يقدم الصلاة على الخطبة يوم الجمعة، وانفضاضهم وقع في الخطبة، وليس في الصلاة كما هو الظاهر من بعض الروايات، والتي ركز عليها بعض الرافضة، كمحمود أبو رية⁽¹⁾، ومروان خليفات⁽²⁾، وغيرهم 0

ويدل على أن الانفضاض كان في الخطبة ما جاء في رواية مسلم السابقة : بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً 0

يقول الحافظ ابن حجر : "ترجيح كون الانفضاض وقع في الخطبة لا في الصلاة، هو اللائق بالصحابة تحسناً للظن بهم، وعلى تقدير أن يكون في الصلاة حمل على أن ذلك وقع قبل النهي كآية ⁽³⁾ وقبل النهي عن الفعل الكثير في الصلاة ونزول قوله تعالى : ⁽⁴⁾ 0

ويؤيد ذلك : ما رواه أبو داود في المراسيل أن هذه القصة كانت لما كان رسول الله ﷺ يصلي الجمعة قبل الخطبة، مثل العيدين، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الجمعة شيئاً، فأنزل الله : ⁽⁵⁾ ⁽⁶⁾ وهو ما رجحه أيضاً النووي في شرحه على مسلم 0

1 () أضواء على السنة ص 359 0
2 () وركبت السفينة ص 223 0
3 () الآية 33 من سورة محمد 0
4 () الآية 2 من سورة المؤمنون وانظر : فتح الباري 2/493
رقم 936 بتصريف يسير 0
5 () المراسيل ص 50 رقم 61 0
6 () المنهاج شرح مسلم 3/416، 417 رقم 863، وانظر : تفسير القرآن العظيم 4/367 0

وعلى كل تقدير أنه فى الصلاة، فلم يكن تقدم لهم نهى عن ذلك، فلما نزلت آية الجمعة، وفهموا منها ذم ذلك، اجتنبوه" (1) 0

يقول الألوسى : "ورواية أن ذلك وقع منهم مراراً" إن أريد بها رواية البيهقى فى شعب الإيمان (2) عن مُقاتِل بن حيان (3) أنه قال : بلغنى والله أعلم أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات، فمثل ذلك لا يلتفت إليه، ولا يعول عند المحدثين عليه، وإن أريد بها غيرها فليبين، ولتثبت صحته، وأنى بذلك؟ وبالجملة : الطعن فى الصحابة بهذه القصة التى كانت من بعضهم فى أوائل أمرهم، وقد أعقبها منهم عبادات لا تحصى، سغه ظاهر، وجهل وافر" (4) 0

ثانياً : أما نسبة النفاق إلى خيار هذه الأمة بدعوى أنه كان فى المدينة منافقين، وأن النبى ﷺ أطلق لفظ الصحابة عليهم : "معاذ الله! أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى" 0

هذه الشبهة أوهى من بيت العنكبوت، وهى فرية واضحة لا تثبت لها

قدم 0

أولاً : لأن إطلاق لفظ الصحابة على المنافق كما جاء فى الحديث هذا

الإطلاق لغوى، وليس اصطلاحى نظير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ فَذَكَرُوا فِيهِ وَيَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ فِي الْمَآئِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّاجِدُونَ﴾ (5) وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ فَذَكَرُوا فِيهِ وَيَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ فِي الْمَآئِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّاجِدُونَ﴾

1 () انظر : فتح البارى 2/493 رقم 936 0
2 () الرواية أوردها السيوطى فى الدر المنثور : 8/166، ولم يعزها لغيره 0

3 () هو: مقاتل بن حَيَّان النَّبَطِيُّ، أبو يسطام البَلْخِيُّ، صدوق فاضل، اخطأ الأزدي فى زعمه أن وكيعاً كذبه، إنما كذب مقاتل بن سليمان 0 مات قبيل الخمسين بأرض الهند 0 له ترجمة فى : تقريب التهذيب 2/210 رقم 6891، وتذكرة الحفاظ 1/174 رقم 168، وطبقات المفسرين للداودى 2/329، وخلاصة تهذيب الكمال ص 330، ولسان الميزان 9/198 رقم 14548 0

4 () روح المعانى للألوسى 28/107 0
5 () الآية 184 من سورة الأعراف 0

فإضافة صحبة النبي ﷺ إلى المشركين
والكافرين إنما هي صحبة الزمان والمكان لا صحبة الإيمان،
وذلك كقوله تعالى في حق سيدنا يوسف - عليه السلام - :
﴿وَجَاءَتْهُ سَحَابٌ مِّنْ عَلَاقٍ ۚ فَبَدَأَ بِذَاتِ يَمِينِهِ وَإِسْحَاقَ يَسَارِهِ فَبَدَأَ بِذَاتِ يَسَارِهِ فَبَدَأَ بِذَاتِ يَمِينِهِ ۚ وَإِسْحَاقَ يَمِينِهِ فَبَدَأَ بِذَاتِ يَمِينِهِ ۚ وَإِسْحَاقَ يَمِينِهِ﴾⁽²⁾

فالصحبة في الحديث الشريف، بمعناها اللغوي كما في
الآيات السابقة، وليست الصحبة الاصطلاحية، فتعريفها السابق
يخرج المنافقين والمرتدين 0

ثم كيف يكون المنافقون من الصحابة بالمعنى الاصطلاحى وقد نفاه
عنهم رب العزة بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الصَّافِينَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ يُخْفُونَ أَعْيُنَهُمْ عَنِ الرَّسُولِ ۚ هُمْ سَوَاءٌ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾⁽³⁾

ثم إن المنافقين لم يكونوا مجهولين في مجتمع الصحابة الكرام 0 ولم
يكونوا هم السواد الأعظم، والجمهور الغالب فيهم، وإنما كانوا فئة معلومة
آل أمرهم إلى الخزي والفضيحة، حيث علم بعضهم بعينه، والبعض الآخر
منهم علم بأوصافه، فقد ذكر الله في كتابه العزيز من أوصافهم، وخصوصاً
في سورة التوبة، ما جعل منهم طائفة متميزة منبوذة، لا يخفى أمرها
على أحد، كما لا يخفى على أحد حالهم في زماننا 0

1 () الآية 2 من سورة النجم، وفي هذه الآية وما في معناها
بطلان لسؤال اليرافضي مروان خليفات ومن قال بقوله 0 قال :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الصَّافِينَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ يُخْفُونَ أَعْيُنَهُمْ عَنِ الرَّسُولِ ۚ هُمْ سَوَاءٌ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾
تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ الآية 101 من سورة التوبة، قال :
فنصت الآية على أن هناك منافقين لا يعلمهم إلا الله فمن هم
حتى نتجت أخذ الأحاديث عنهم 01 هـ انظر : وركبت السفينة
ص 230، 231، ونسي خليفات على فرض التسليم بزعمه، ما
أفاض فيه رب العزة من ذكر أوصافهم في سورة التوبة،
وغيرها من سائر سور القرآن، كما تناسى وعد الله المذكور في
ختم الآية، وهو فضحهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب
عظيم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الصَّافِينَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ يُخْفُونَ أَعْيُنَهُمْ عَنِ الرَّسُولِ ۚ هُمْ سَوَاءٌ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ وَإِلَّا فَالْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ ۚ كَانَ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ ثُمَّ
أعلمه رب العزة بأسمائهم، فضلاً عما = = ذكر في القرآن من
صفاتهم، ويؤكد هذا أخبار النبي ﷺ لحذيفة بن اليمان
بأسمائهم، وسياتي قريباً ذكر الحديث 0
2 () الآية 39 من سورة يوسف 0
3 () الآية 56 من سورة التوبة 0

فأين هذه الفئة المنافقة ممن أثبت الله لهم في كتابه نقيض صفات المنافقين، حيث أخبر عن رضاه عنهم، من فوق سبع سماوات، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس⁽¹⁾ 0

ويدل على ما سبق من قلة المنافقين في المجتمع الإسلامي، وأنهم فئة معلومة تكفل رب العزة بفضحهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم 0

ما رواه حذيفة بن اليمان⁽²⁾ 0 صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين 0 قال : قال النبي ﷺ في أمتي - وفي رواية - في أصحابي إنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها حتى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِ الْخِيَاطِ 0 ثمانية منهم تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةَ، سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ، يَظْهَرُ فِي أَكْتَانِهِمْ حَتَّى يَنْجَمَ مِنْ صُدُورِهِمْ⁽³⁾ 0

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة من حجره، وعنده نفرٌ من المسلمين قد كان يقلصُ عنها الظل، قال : سيأتيكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان فلا تكلموه، فدخل رجل أزرق، فقال رسول الله ﷺ على ما تسبني أنت وفلان وفلان، لقوم دعا بأسمائهم، فانطلق إليهم فدعاهم فحلفوا واعتذروا فأنزل
لِللّٰهِ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ ۝ كَمَا
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۝ إِنَّهُمْ
الْكَاذِبُونَ⁽⁴⁾ 0

(1) انظر : عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة للدكتور ناصر الشيخ 3/963 0
(2) له ترجمة في: الإستيعاب 1/334 رقم 492، واسد الغابة 1/706 رقم 1113، والإصابة 1/317 رقم 1652، وتاريخ الصحابة 73 رقم 267، ومشاهير علماء الأمصار ص 55 رقم 267 0
(3) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفات المنافقين 136/9، رقم 137، رقم 2779 0
(4) الآية 18 من سورة المجادلة، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة المجادلة 2/524 رقم 3795، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة 5/282، 283 واللفظ له 0

أما ما استدل به محمود أبو رية من قول "أسيّد بن حُصَيّر، لسعدُ بنُ عبادةُ إنك منافق تجادل عن المنافقين" وقوله فهؤلاء البديرون منهم من قال لآخر منهم: "إنك منافق ولم يكفر النبي لا هذا ولا ذاك"⁽¹⁾ وهذا الذي يزعمه الرافضي محمود أبو رية من فرط جهله، وتضليله وبتره لسبب ذلك القول 0

وهو كما جاء في الصحيحين في قصة الإفك لما قال ﷺ وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً" 0 ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً 0 وما كان يدخل على أهلي إلا معي" فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه 0 وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت عائشة - رضی الله عنها - فقام سعد بن عبادة⁽²⁾، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً 0 ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله! لا تقتله، ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير⁽³⁾، وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله! لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين..."⁽⁴⁾ 0

فكما هو واضح من قصة الحديث أن قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة "فإنك منافق" وقع منه على جهة المبالغة، في زجره عن القول الذي قاله حمية للخزرج، ومجادلته عن ابن أبي، وغيره 0

1 () أضواء على السنة ص 359 0
2 () سعد بن عبادة صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 2/30 رقم 3173، والاستيعاب 2/594 رقم 944، وأسد الغابة 2/441 رقم 2012، ومشاهير علماء الأمصار 15 رقم 20 0
3 () أسيد بن حضير صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 1/49 رقم 185، وتاريخ الصحابة ص 30 رقم 25، ومشاهير علماء الأمصار ص 20 رقم 36، والاستيعاب 1/92 رقم 54، وأسد الغابة 1/240 رقم 170 0
4 () جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب "لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً... إلى قوله هم الكاذبون" 8/306-308 = رقم 4750 ومسلم (بشرح النووي) كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف 9/115، 118 رقم 2770 0

ولم يرد أسيذُ بإطلاقه " فإنك منافق " لم يرد به نفاق الكفر، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس، ثم ظهر منه فى هذه القصة، ضد ذلك فأشبهه حال المنافق، لأن حقيقته إظهار شئ وإخفاء غيره 0

ولعل هذا هو السبب فى ترك إنكار النبى ﷺ⁽¹⁾ وهو أقوى دليل على الخصم 0

ومع كل هذا فقد تقرر أن العدالة لا تعنى العصمة من الذنوب، أو السهو، أو الخطأ، ومن فضل الله عليهم ﷺ أن وعدهم بالمغفرة، ولا سيما أهل بدر، وهم من أهلها فعن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ كتب حاطب بن أبى بلتعه إلى أهل مكة فأطلع الله تعالى عليه نبيه ﷺ فبعث علياً والزبير فى أثر الكتاب فأدركا امرأة على بعير فاستخرجاه من قرن من قرونها، فأتيا به نبى الله ﷺ فقرئ عليه، فأرسل إلى حاطب فقال " يا حاطب إنك كتبت هذا الكتاب؟ " قال نعم : يا رسول الله قال : " فما حملك على ذلك؟ " قال : يا رسول الله، إنى والله لنا صح لله، ولرسوله ﷺ، ولكنى كنت غربياً فى أهل مكة وكان أهلى بين ظهرائهم، فخشيت عليهم، فكتبت كتاباً لا يضر الله ورسوله شيئاً، وعسى أن يكون فيه منفعة لأهلى 0 قال عمر : فاخرطت سيفى وقلت : يا رسول الله أمكنى منه فإنه قد كفر فأضرب عنقه 0 فقال رسول الله ﷺ : " يا ابن الخطاب وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل هذه العصابة من أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم "⁽²⁾ أ 0 هـ 0

ثالثاً : أما ما استدلوا به من فرار بعض الصحابة يوم الزحف فى غزوتى أحد وحنين، ما استدلوا به حجة عليهم 0

¹ () فتح البارى 8/330 رقم 4750 بتصرف، وانظر : منهاج السنة لابن تيمية 3/192 0

² () أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أهل بدر 4/87 رقم 6966، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى 0

ففي عتاب الفرار يوم أحد قال : **الشيطان** ثم ختم
العتاب بقوله تعالى :
(1) 0

ولا تعبير بعد عفو الله تعالى عن الجميع (2) 0

وفى عتاب الفرار يوم حنين قال :
ثم يمتن رب العزة عليهم بقوله تعالى
(3) 0

وهل تنزل السكينة إلا على قوم مؤمنين؟!

نعم تنزل السكينة على قوم مؤمنين ليزدادوا بها إيماناً مع إيمانهم،
وصدق رب العزة :
(4) ويقول
(5) 0

1 () الآية 155 من سورة آل عمران 0
2 () روح المعاني للأوسى 4/99، وانظر : مختصر التحفة الإثني
عشرية ص 273 0
3 () الآية 26 من سورة التوبة 0
4 () الآية 4 من سورة الفتح 0
5 () الآية 26 من سورة الفتح 0

وهل بعد تلك الشهادات العلامات للإيمان والتقوى من تعبير؟!!!

رابعاً : أما استدلالهم بحديث الحوض، وما جاء فيه من وصف الصحابة بالردة 0 فهذا من زندقة الرافضة، ومن تلبيسهم، وتضليلهم 0

فإن المراد بالأصحاب هنا ليس المعنى الاصطلاحى عند علماء المسلمين، بل المراد بهم مطلق المؤمنين بالنبى ﷺ المتبعين لشريعته، وهذا كما يقال لمقلدى أبى حنيفة أصحاب أبى حنيفة، ولمقلدى الشافعى أصحاب الشافعى وهكذا، وإن لم يكن هناك رؤية واجتماع، وكذا يقول الرجل للماضين الموافقين له فى المذهب : "أصحابنا" مع أن بينه وبينهم عدة من السنين، ومعرفته ﷺ لهم مع عدم رؤيتهم فى الدنيا بسبب أمارات تلوح عليهم يعرفها النبى ﷺ 0

فمن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن حوضى لأبعد من أيلةٍ من عَدَنٍ"⁽¹⁾، والذى نفسى بيده! إني لأزودُ عنه الرجال كما يزودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضه"، قالوا: يا رسول الله! أو تعرفنا؟ قال : "نعم تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُّحَجَّلِينَ من آثار الوضوء 0 ليست لأحدٍ غَيْرِكُمْ"⁽²⁾ 0

ولو افترضنا أن المراد بالأصحاب فى الحديث، الأصحاب فى

زمنه 0

¹ () أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر حالياً) مما يلى الشام 0 معجم البلدان 1/347، وعدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن 0 معجم البلدان 4/ 100، وبحر الهند يسمى الآن المحيط الهندى 0
² () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فى الوضوء 2/ 137 رقم 248 0 وانظر : مختصر التحفة الإثنى عشرية ص 272 0

فالمراد بهم : الذين صاحبوه صحبة الزمان والمكان مع نفاقهم، كما سبق من قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ حَرَجٌ لِمَنْ يَدْعُوا إِلَيْهِمْ إِنْ دَعَوْا إِلَيْهِمْ لِنُفْسٍ مَوْجُودَةٍ ﴾ (1) وعلى هذا فالمراد بالمرتدين من أصحابه فى الحديث هم الذين ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق 0 وقد علمت أن التعريف الاصطلاحى للصحابة يخرج من ارتد ومات على رده - والعياذ بالله - 0

وفى الحديث ما يؤيد المعانى السابقة، كقوله 0 "أصحابى" بالتصغير، كما جاء فى بعض الروايات، قال الخطابى : "فيه إشارة إلى قلة عدد من وقع لهم ذلك، وإنما وقع لبعض جفاة الأعراب، ولم يقع من أحد من الصحابة المشهورين" (2) وفى قوله 0 : "فيقال" : هل شعرت ما عملوا بعدك " فيه إشارة إلى أنه لم يعرف أشخاصهم بأعيانها، وإن كان قد عرف إنهم من هذه الأمة" (3) 0 أما حمل الحديث على أصحاب رسول الله 0 بالمعنى الاصطلاحى - فهذا ما لا يقوله مسلم!! وهو ما يدحضه ما سبق ذكره من تعديل الله 0، ورسوله 0، وإجماع الأمة على ذلك أ 0 هـ 0

خامساً : أما ما احتجوا به من حديث لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " والزعم بأن الصحابة استحل بعضهم دماء بعض فى صفين والجمل 0

فالحق أن هذه الشبهة من أخطر الشبه التى احتج بها الرافضة الزنادقة، وأذيا لهم من دعاة العلمانية، الذين اتخذوا من

1 () الآية 2 من سورة النجم 0
2 () انظر: فتح البارى 136، 135/ 8 رقم 4625، وانظر: تأويل مختلف الحديث ص 213-215 0
3 () فتح البارى 11/484 رقم 6593، ومختصر التحفة الإثنى عشرية ص 273 0

تلك الفتنة مادة دسمة، طعنوا بها فى عدالة الصحابة، وفتنوا بذلك عوام المسلمين، وممن لا علم له، بضربهم على (الوتر الحساس) وهو: دعوى ظلم الصحابة لآل بيت رسول الله ﷺ فى تلك الفتنة" 0

وهذا ما فعله طه حسين فى كتابه "الفتنة الكبرى - عثمان بن عفان 0⁽¹⁾" ﷺ وقيل بقوله محو دأوريه⁽²⁾، وغيره ولحقه دعة الرافضة واللاينية⁽³⁾ 0

حتى وجدنا من يجهر من الرافضة قائلاً: "معاوية بن أبى سفيان ﷺ - كافر ابن كافر - ولعنة الله على معاوية، فقد بغى على الحق، وخرج على طاعة الإمام على، وشئت شمل المسلمين، وفرق كلمتهم، فأساس فرقة المسلمين إلى الآن هو معاوية الذى خرج عن طاعة الإمام على بن أبى طالب 0⁽⁴⁾" ﷺ

والجواب عن هذا الإفك يطول⁽⁵⁾، وهو بحاجة إلى تحقيق دقيق⁽⁶⁾ 0 نكتفى هنا بملخصة القول 0

وهو أنه لا حجة لهم فى الحديث، ولا فى الفتنة التى وقعت بين سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين-، والتى أشعلها سلفهم من الخوارج، والرافضة، والزنادقة 0

1 () انظر : إفتنة الكبرى ص 170 - 173 0
2 () انظر : أضواء على السنة ص 360 - 362 0
3 () انظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص 34، 103، 110،
124، 795، والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 260
وما بعدها 0
4 () قال ذلك الرافضى حسن شحاته (قبه الله تعالى) انظر:مجلة
روز اليوسف العدد 3562 ص 35 0
5 () راجع إن شئت ما سبق من الجواب فى الطعن فى صحة إسلام
سيدنا معاوية ﷺ ص 420-425 0
6 () ممن حقق فى تلك الفتنة الإمام ابن العربى فى العواصم
من القواصم، وابن تيمية فى منهاج السنة 0 وغيرهما والأمر
فى حاجة إلى مزيد من التحقق 0 والله أعلم 0

تَعْمَلُوا أَمْعَاءَ لِمَا أُخْرَفْتُمْ عَلَيْهَا وَالَّذِينَ نَفَىٰ عَنَّا
فَلْيَقْتُلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَوَفَّقُوا لَهُمُ الْعَمَلُ وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَكَلَّمُوا كَذِبًا مِمَّا نَزَّلْنَا فِي الْكِتَابِ

فسماهم أخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون، مع وجود الاقتتال بينهم،
والبغى من بعضهم على بعض 0

يقول الحافظ ابن كثير: "وبهذا استدل البخارى⁽²⁾ وغيره على أنه
لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن
تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت فى صحيح البخارى من حديث
الحسن⁽³⁾، عن أبى بكر⁽⁴⁾ قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر -
والحسن بن على إلى جنبه- وهو يقبل على الناس مرة، وعليه

1 () الآيتان 9، 10 من سورة الحجرات 0
2 () صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الإيمان، باب
المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا
بالشرك لقوله ﷺ لأبى ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية" وقول الله
تعالى: "إن الله لا يغير أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء" وباب "وَأَنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا
الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"
فسماهم مؤمنين 1/106 رقمى 30، 31 0
3 () الحسن هو: ابن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما -
صحابى جليل له ترجمة فى: الإصابة 1/328 رقم 1719،
والاستيعاب 1/383 رقم 555، وأسد الغابة 2/13 رقم
1165، ومشاهير علماء الأمصار 12 رقم 6 0
4 () أبو بكر هو: نفع بن مسروح بن كلده، صحابى جليل، له
ترجمة فى: الإصابة 3/571 رقم 8793، وأسد الغابة 5/334
رقم 5289، وتاريخ الصحابة ص 249 رقم 1373، ومشاهير
علماء الأمصار ص 48 رقم 220 والاستيعاب 4/1614 رقم
0 2877

أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين⁽¹⁾

فكان كما قال ﷺ، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام، وأهل العراق، بعد الحروب الطويلة، والواقعات المهولة⁽²⁾ 0

يقول الإمام ابن تيمية: "والذين قاتلوا الإمام على ﷺ لا يخلوا: إما أن يكونوا عصاة، أو مجتهدين مخطئين أو مصيبين، وعلى كل تقدير، فهذا لا يقدح في إيمانهم، ولا في عدالتهم، ولا يمنعهم الجنة، بما سبق من تصريح القرآن الكريم، من تسميتهم إخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون، وتأكيده النبي ﷺ ذلك بما سبق من رواية الحسن بن علي عن أبي بكر 0

ولهذا اتفق أهل السنة على أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداهما أنهم كانوا بغاة⁽³⁾ والبغي إذا كان

1 () أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ "إن ابني هذا سيد ... الحديث" وقوله جل ذكره "فأصلحوا بينهما" 5/361 رقم 2704 0
2 () تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/211 0
3 () ويعنون بهذه الطائفة التي بغت طائفة معاوية ﷺ ودليلهم في ذلك قوله ﷺ لعمار "تقتلك الفئة الباغية" أخرجه مسلم "بشرح النووي" كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه 9/266 رقم 2916، من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- وكان عمار ﷺ يقاتل مع الإمام علي ﷺ والوصف بالبغي هنا لا ينفي عنهم العدالة كما تشهد بذلك آية الحجرات في قوله تعالى: "فَإِنْ بَغَيْتُمْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ" 0

بتأويل كان صاحبه مجتهداً، والمجتهد المخطئ لا يكفر، ولا يفسق وإن تعمد البغى فهو ذنب من الذنوب، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة كالتوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وشفاعة النبي ﷺ ودعاء المؤمنين، وغير ذلك⁽¹⁾ 0

وعلى هذا القول إجماع الأمة من علمائها 0

يقول الإمام الآمدي : " فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين 0

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما قال محمد بن سيرين : " هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضر منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين " وإسناد هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض⁽²⁾ 0

وعلى هذا فالذى خاض فى تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيباً، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ فى اجتهاده مأجور عليه 0

وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع"⁽³⁾ 0

1 () منهاج السنة 2/205 بتصرف وانظر : أصول الدين للبغدادي ص 289 وما بعدها 0
2 () منهاج السنة 3/186 0
3 () الأحكام للآمدي 2/82 بتصرف وانظر : فواتح الرحموت 2/155، 156، والبحر المحيط 4/299، وإرشاد الفحول 1/275، والباعث الحثيث ص 154، وعقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث (الحرب التى دارت بين على بن أبى طالب، وبعض الصحابة - رضى الله عنهم - وموقف أهل السنة منها 2/700 - 748، وانظر : الرد القويم

يقول الإمام الجوينى : " أما التوقف فى تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاصوا المحن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام" (1) أ 0 هـ 0

وأخيراً : دع عنك - أذى المسلم - ترهات المبتدعة الذين يجادلون فى عدالة الصحابة جميعاً - وينفون العدالة عن بعضهم - اتباعاً للهوى أو انقياداً للشيطان 0 وأشد سخفاً من ذلك، ما يتجرأ به البعض فى زماننا هذا حينما يتحدثون عن الصحابة بأسلوب غير لائق، وينصب نفسه حكماً فيما شجر بينهم من خلاف، ويقبل رواية هذا، ويرفض رواية ذلك، وهو لا يملك سبباً واحداً من أسباب ذلك كله" (2) 0

واعلم أن أمثال هؤلاء لهم خبيثة سوء، ومتهمين فى دينهم، يدل على ذلك ما روى عن الإمام أحمد بن حنبل   أنه سئل عن رجل تنقص معاوية، وعمرو بن العاص أيقال له رافضى؟ فقال : إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيثة سوء، ما انتقص أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء" 0 وفى رواية أخرى قال : " إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام" (3) 0

ويسئل الإمام النسائى عن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - فيقول : " إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن

على المجرم الأثيم للشيخ التوبجرى ص 182-184 0
1 () البرهان فى أصول الفقه 1/241، 242 0
2 () تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير لفضيلة
الدكتور مروان شاهين ص 95 0
3 () البداية والنهاية 8/142 0

آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب - أى نقبه - إنما يريد دخول الدار، قال : فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة⁽¹⁾ 0
وصدق عمر بن عبد العزيز " تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا تخضب بها سنتنا"⁽²⁾ أ 0 هـ 0

والله تبارك وتعالى
أعلى أعلم

¹ () تهذيب الكمال للحافظ للمزى 1/339 ترجمة الإمام النسائي 0

² () انظر : فتح المغيـث للسـخاوى 3/96 0

المطلب الخامس سنة الصحابة ۞ حجة شرعية

إذا كان أعداء الإسلام يشككون فى عدالة الصحابة ۞ فهم أيضاً يشككون فى سنتهم، وسنة الخلفاء الراشدين 0
يقول محمد شحرور : "فإذا سألتى سائل الآن ألا يسعك ما وسع الصحابة فى فهم القرآن؟ فجوابى بكل جرأة و يقين هو : كلا لا يسعنى ما وسعهم، لأن أرضيتى العلمية تختلف عن أرضيتهم، ومناهج البحث العلمى عندى تختلف عنهم، وأعيش فى عصر مختلف تماماً عن عصرهم والتحديات التى أواجهها تختلف عن تحدياتهم"⁽¹⁾ 0

والحق أن هذا كلام من يرى الشريعة الإسلامية قرأناً وسنة غير صالحة لكل زمان ومكان، فكلامه هو وغيره من أعداء السنة المطهرة فى سنة الصحابة لا قيمة له 0

لأن سنة الصحابة وهى ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأى، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسیناً للظن بهم، وجزم بذلك الرازى فى المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث⁽²⁾ 0

وإذا كانت سنتهم فى غير ذلك، فقد اختلف العلماء فى ذلك 0

¹ () الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 567، وانظر: منع تدوين الحديث لعلی الشهرستانى 142، 133، 166، 249، 334-340، 503، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 280، ونظرية عدالة الصحابة لأحمد حسين يعقوب 56-58، والإفصاح فى إمامة على بن أبى طالب لمحمد العكبى ص 140، 141، والخلافة المغتصبة لإدریس الحسينى، وغيرهم ممن طعنوا فى عدالة الصحابة 0
² () انظر : المحصول 2/221، والإحكام للآمدى 2/87، وأعلام الموقعين 4/123، وفتح المغيـث للسخاوى 1/144، وتدريب الراوى 1/190، 191، وتوضيح الأفكار 1/280 0

والراجع من هذا الخلاف⁽³⁾ أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأي غير واحد من أئمة الأصول، منهم الشاطبي - رحمه الله - فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال : " فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به 0

³ () انظر : الأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه الإسلامى للدكتور عبد الحميد أبو المكارم ص 303، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، باب ما جاء فى قول الواحد من الصحابة 0 1/437

ثم استدل الشاطبي لما رجع بأدلة منها :

1- ما جاء فى الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم فى طلب الاتباع كسنة النبى ﷺ لقوله ﷺ: " فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين

المهدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"⁽¹⁾

2- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة

قول أبى بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلاً،

وبعضهم يعد قول الصحابى على الإطلاق حجة ودليلاً، ولكل قول من هذه

الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء - وإن ترجح عند العلماء خلافها -

ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلى هو المعتمد فى المسألة، وذلك أن

السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة،

ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى فى علوم الخلاف الدائرة

بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهيبهم قوّوها بذكر من ذهب

إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا فى أنفسهم وفى مخالفيهم

من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم فى الشريعة،

وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلاً عن النظر معهم فيما نظروا

فيه 0

ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تزكيتهم والحث

على متابعتهم 0

فعن ابن مسعود ﷺ قال : " من كان مستنأً فليستن⁽²⁾ بأصحاب

محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها

تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة

نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم،

فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"⁽³⁾ 0

(1) سبق تخريجه ص 38 0
(2) ذهب الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة إلى أن هذا هو الأصح فى
بداية الأثر، وأن ابن قيم الجوزية، وابن عبد البر، تأولاه (من كان
متأسياً) انظر: لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص 38 0

وقال عمر بن عبد العزيز: "سن رسول الله ﷺ، وولاية الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتدي، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيراً 0

وفى رواية بعد قوله -وقوة على دين الله - ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فى رأى خالفها، من اهتدى بها مهتد ... الحديث" (1) 0 فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك" (2) والآثار فى هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيراً منها الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين (3) 0

ويقول الإمام الشاطبى فى موضع آخر من كتابه مبيناً أن بيان الصحابى حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال فى صحته أيضاً، كما أجمعوا على الغيب من التقاء الختائين المبين لقوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْئاً وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (4) وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه السرخسى (5)، عن أبى حازم القاضى (6)

3 () أخرجه البغوى فى شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء 1/214، وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم 2/97، وذكره ابن قيم الجوزية فى أعلام الموقعين 4/139 0
1 () سبق تخريجه ص 39 0
2 () الموافقات 4/452 - 455، وانظر: الاعتصام 2/519 0
3 () أعلام الموقعين 4/118 - 156، وانظر: الرسالة للشافعى ص 596 فقرات رقم 1682، 1805 - 1811 0
4 () جزء من الآية 6 من سورة المائدة 0
5 () أصول السرخسى 1/317، وانظر: علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى للشيخ أحمد إبراهيم ص 24، 25 0
6 () أبو حازم هو: سلمة بن دينار المخزومى، عالم المدينة، وقاضيا، وشيخها، قال فيه ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث مات سنة 140هـ 0 له ترجمة فى: تقريب التهذيب 1/376

وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر
وتفصيل 0 ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم فى البيان، من وجهين

:

أحدهما : معرفتهم باللسان العربى، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير
ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف فى فهم
الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع
البيان صح اعتماده من هذه الجهة 0

ثانيهما : مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم
أقعد فى فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما
لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى
جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات،
فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف فى
المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية" (1) 0

ويقول فى كتابه الاعتصام : " الصحابة هم المتقلدون لكلام النبوة،
المهتدون للشريعة، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقى من نبيه مشافهة على
علم، وبصيرة بمواطن التشريع، وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم : فإذا كل ما
سنوه، فهو سنة، من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم، فإن فيه لأهل الاجتهاد
مجالاً للنظر رداً وقبولاً" (2) 0

سنة الصحابة مصدراً للأحكام الدستورية :

رقم 2496، وتذكرة الحفاظ 1/133 رقم 119، وشذرات
الذهب 1/208، والعبر 1/189، وطبقات الحفاظ للسيوطى
ص 60 رقم 117 0

1 () الموافقات 3/300، 301 0

2 () الاعتصام 2/519 0

يقول المستشار الدكتور على حريشة بعد أن رد اعتراضات المنكرين لحجية مذهب الصحابي⁽¹⁾، قال : وسنة الصحابة يمكن أن تكون مصدراً للأحكام الدستورية : ولقد كان نظام الخلافة وليد اجتهاد الصحابة فضرورة البيعة - وهى مظهر رضا المسلمين - كانت عليها سنة الصحابة، فلم يل أحدهم دون بيعة، ولم يكن الاستخلاف بالنسبة لمن استخلفوا إلا ترشيحاً، واستمرار الخلافة مدى حياة الخليفة ... كان سنة للصحابة، تحقق بها ميزات عجز عنها كل من النظام الجمهوري، والنظام الملكي على السواء، فقد وفرت الثبات الذى ينقص الأنظمة الجمهورية، ونفت التوارث الذى يعيب الأنظمة الملكية 0

وهكذا يتبين أن سنة الخلفاء كانت مصدراً لكثير من الأحكام الدستورية على غير ما يذهب إليه بعض "المجتهدين" "المحدثين"⁽²⁾ أ 0هـ

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

¹ () مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص 42 - 48 0

² () كالأستاذ الدكتور عبد الحميد متولى فى كتابه مبادئ نظام الحكم فى الإسلام ص 263، وفى كتابه ترديد لكثير مما قاله على عبد الرزاق فى كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، انظر : مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص 49 0